هذه الصفحة تقدم اضاءة للقارىء العراقي من الصحافة العالمية ولاتعبر المقالات الواردة فيها بالضرورة عن رأي ( )

طبق الاصل

من اعمال الراحل مؤيد نعمة

جرائم الحرب تقديم الاشرار الى المحاكم

هل ان البحث الدولي عن العدالة يضر ام يساعد على استتباب السلام؟

ترجمة : فاروق السعد

حتى يومنا هذا، عادة ما نجح اسوأ طغاة العالم في تجنب تقديمهم الى المحكمة على جرائمهم. و البعض، طبعا، قتلوا. فقد اقدم هتلر على الانتحار. و لكن ستالين و ماو توفيا في فراشيهما. و بول بوت، المسؤول عن قتل ٢ مليون كمبودي في السبعينات من القرن الماضي، كان يعيش في كمبوديا لغاية وفاته عام ١٩٩٨، و عيدي امين، دكتاتور اوغندا الوحشي قضى ايامه في منفى مريح في العربية السعودية؛ و واصل منغستو هيلي ماريام اثيوبيا حياته في زمبابوي. و تستمر هذه القائمة. و لكن بانتشار العدل الدولي خلال العقد الماضي، فان الانشوطة تضيق. من المقبول الان بانه لا يمكن ان تكون هنالك حصانة للانتهاكات الخطيرة لحقوق الانسان، و لا حتى رؤساء الدول. فرئيس صربيا، سلوبودان ميلوفيتش قد ادين بارتكابه جرائم حرب عام ١٩٩٩ (صدر هذا التقرير قبل وفاته-المترجم) و بعد عشر سنوات من الاختفاء، اعتبر راتكو ملاديك، رئيس اركان صرب البوسنة مسؤولا عن المجزرة الصربية، و من المتوقع ان يتم اعتقاله في اي يوم. وفي شيلي، يواجه اخيرا اوغستو بينوشيت احتمالا حقيقيا بتقديمه للمحاكمة بعد ١٧ عاما من نهاية دكتاتوريته. و حسين هبري رئيس اتشاد السابق ذو القلب المتحجر، المنفي منذ ١٦ عاما في السنغال، قد يواجه الترحيل الى بروكسل لتقديمة الى المحاكمة لارتكابه جرائم ضد الانسانية طبقا للقانون البلجيكي "القضاء الدولي". و يتهيأ الادعاء العام البولندي لرفع تهم ضد فوجيش ياروزلسكي، اخر قائد شيوعي لديهم. كما ان صدام حسين، دكتاتور العراق السابق، يواجه حكما شبه مؤكد بالاعدام في نهاية محاكمته من قبل محكمة خاصة في بغداد. كان الجدل قد اثير منذ مدة طويلة حول افضل الطرق للتعامل مع الانتهاكات الكبيرة لحقوق الانسان. فهل ان معاقبة المذنبين اكثر اهمية من وضع حد للاعمال الوحشية؟ و بكلمات اخرى، هل يمكن تامين كل من العدالة و السلام، ام ان الاثنين خصمان طبيعيان؟ في الثمانينات اصبح مفهوم " الحقيقة و المصالحة " يشكل موضة، و كانت العدالة قد انزلت الى مرتبة متدنية. ان قول الحقيقة، ربما بتشجيع من منظات العفو، قد بدت طريقة جيدة لكشف الحكايات التي كانت مكبوتة حول الضحايا و (حالات اقل كثيرا) حول مرتكبي جرائم العنف الخفي الذي تمارسه الدولة(فرق الموت، "حالات الاختفاء" و ما شابه) في امريكا اللاتينية. في الحقيقة، ان اول لجنة للحقيقة و المصالحة قد انشئت ليس في جنوب افريقيا، كما لا يزال الكثير يظن، بل في شيلي، في عام ١٩٩٠، تبعتها اخريات بتوالٍ سريع في السلفادور، اتشاد، اورغواي، جنوب افريقيا(١٩٩٥) ، اكوادور، نيجريا، بيرو، سيراليون، كوريا الشمالية، اورغواي، تيمور-الشرقية، بنما، الكونغو، ليبريا و المغرب، و هي اول بلد عربي. اما الجزائر، افغانستان وبورندي فهي الان تتدارس مسالة عمل نفس الشيء. و لكن بالنسبة الى العديد، اصبحت فكرة وجوب مرور الابادة الجماعية، التطهير العرقي، التعذيب و غيرها من الاعمال المروعة بدون عقوبة تشكل عامل قلق وبشكل متزايد. و طبقا لمبدأ السيادة الوطنية، كان من المفترض بالنسبة الى الدول الوطنية ان تكون مسؤولة عن فرض قوانين العقوبات الخاصة بها. و لكن غالبا ما بدت غير راغبة او عاجزة عن مقاضاة اعتى المجرمين، اما بسبب كون اولئك المسؤولين ما زالوا في السلطة، او لانهم التجاوا الى بلدان اخرى وهم الان بعيدو المنال. و من هنا يجب اللجوء الى العدل الدولي. في ١٩٩٣، اصبحت محكمة الجرائم الدولية التابعة الى الامم المتحدة الخاصة بيوغسلافيا السابقة (ICTYفي هاغو اول محكمة دولية لجرائم الحرب يتم تشكيلها منذ محاكمات نورنبرغ و طوكيو بعد الحرب العالمية الثانية. تبعتها بعد عام محكمة الامم المتحدة لرواندا، مقرها اروشا، تنزانيا. ومثل اسلافها من محاكم ما بعد الحرب، كانت المحكمتان تعملان مخصوصا طبقا للقانون الدولي و خصص لهما قضاة اجانب. و منذ ذلك الحين كانت هنالك خمس محاكم لجرائم الحرب، جميعها كانت بهذا الشكل او ذاك دولية المدخلات-او انها قد شكلت للتعامل مع الاعمال الوحشية في سيراليون، كمبوديا، تيمور الشرقية، العراق و افغانستان. و طلبت لبنان الان من الامم المتحدة المساعدة في انشاء"محكمة ذات صفة دولية لمحاكمة من قام باغتيال رفيق الحريري رئيس وزراء لبنان السابق الذي قتل قبل عام.

البلد الذي يحبون ان يكرهوه

ان محكمة الجرائم الدولية ICCهي اول محكمة دائمة لجرائم الحرب. كما انها الاولى التي ليس لديها علاقات مباشرة مع الامم المتحدة و واجهت معارضة قوية من امريكا. انشئت في هاغو عام ٢٠٠٢، سوية مع ICTYو محكمة العدل الدولية(الهيئة الاكثر قدما التي تحكم في النزاعات بين الدول)، وصممت لتقديم طرق اعدل، وارخص، و اكثر كفاءة في التعامل مع الخروقات الخطيرة لقوانين العدالة الدولية. ففي اكتوبر الماضي، اصدرت اول تهمها – ضد جوزيف كوني و اربعة من اعضاء منظمته الوحشية" جيش الرب للمقاومة" في شمال اوغندا. ومن المتوقع صدور المزيد من الادانات قريبا متعلقة بالمذبحة في الكونغو، حيث تسببت الحرب في مقتل ٤ ملايين انسان منذ عام ١٩٩٨، كما خولت المحكمة من قبل مجلس الامن في التحري عن الاعمال المرعبة الحالية في دارفور، في غرب السودان، و هي مستمرة في مراقبة التطورات في خمسة بلدان يمزقها العنف، بضمنها كوت دي ايفوار و جمهورية افريقيا الوسطى. ومع ذلك فان صلاحية ICCمحدودة. فطبقا لنظامها، ليس بامكانها مقاضاة المتهم ما لم يكن البلد الام للمتهم "غير قادر بحق او غير راغب" في القيام بذلك. و هذا حقل الغام كامن: فالسودان، على سبيل المثال، تصر على انها قادرة تماما و راغبة في محاكمة المسؤولون عن دارفور و ترفض التعاون مع المحكمة. و لا يحق لها مقاضاة الجرائم التي ارتكبت قبل بداية عملها في ٢٠٠٢، كما ان سلطتها القضائية محصورة على موانيء البلدان التي صادقت على نظامها الداخلي- ١٠٠ بلد قام بذلك لغاية هذا التاريخ- او على اولئك الذين ارتكبت جرائمهم في بلد صادق على قانونها. ان الاستثناء من هذا القانون هو ان يقوم مجلس الامن برفع القضية الى ICC، كما هو الامر مع السودان، التي ليست عضواً. تتعرض ICCالى مزيد من العرقلة بسبب رفض عدد من الدول التوقيع على قانون المحكمة. زمبابوي، كوبا، اوزبكستان، كوريا الشمالية، سوريا، بيلوروسيا و العربية السعودية كلها ليست اعضاء. كما هو الحال مع الولايات المتحدة، والصين وروسيا، وكل تلك الدول الثلاث هم اعضاء دائمون في مجلس الامن و بهذا فانهم قادرون على استخدام حق النقض لمنع احالة مجلس الامن.

عدالة ناقصة

ان غاية و قيمة ICCو بقية المحاكم التي تهتم بجرائم الحرب يتمثل الان، في دورها، الذي يتجسد في التدقيق. يشتكي النقاد من انها انتقائية و مسيسة، و لا تقدم سوى عدالة متحيزة و تخلد المعاناة، و بهذا تمنع عملية اعادة البناء الاجتماعي و العرقي. و غالبا ما ينظر اليها، كما يشير دومنيك ماكولدريك، بروفيسور القانون الدولي العام في جامعة ليفربول ببريانيا، على انها محاولة من جانب الغرب لفرض مفهومه ذاته عن العدالة والاخلاق على العالم الثالث. و يقول آخرون، على اية حال، ان وضع حد للحصانة هو امر حيوي، ليس للاقلال من غضب الضحايا و سخطهم، الذي قد يشعل بعكسه دورة لا تنتهي من حالات الانتقام و الانتقام المضاد، و لكن ايضا لغرض ردع المزيد من الاعمال الوحشية. فبدون عدالة، كما يقول (باول فان زيل) من المركز الدولي للعدالة الانتقالية في نيويورك، قد تتمكن من وضع حد مؤقت لعمليات القتل، و لكن لا يمكن ان يكون هنالك سلام دائم. هل ان الردع فعال؟ من السهولة الاشارة الى حالات الفشل الواضحة. فبالرغم من نورنبورغ، الا ان عمليات الابادة الجماعية قد استمرت. فتشكيل ICTYفشلت في منع المجازر في صربيا و كوسوفو. و ان ادانة السيد توني و طغمته لم توقف عمليات القتل في اوغندا. و منذ احالة دارفور الى ICC، اصبح العنف حتى اكثر سوءاً. و لكن لكي يكون فعالا، ينبغي ان يتمتع الردع بالمصداقية. فهو يعمل فقط عندما يتوقع الجناة المحتملون تعرضهم للاعتقال و العقوبة.

عن الايكونومست

الكنوز المتهدمة في بابل بانتظار عراق بلا قتال

بقلم : جيفري غيتلمان
ترجمة : هاجر العاني .

و بابل ، المدينة المشيدة بالطابوق الطيني وذات الصيت الذي يساوي مليون دولار ، قد دفعت ثمن الحرب ، فقد نُهبَت وسُلبَت وحُفِرت وتم الرصف فوقها واحتُلت بقسوة ، اذ يقول علماء الآثار ان الجنود الامريكيين استخدموا حتى التربة المُثقَلة بنتاجات بشرية لاتُقدّر بثمن لملء الاكياس الرملية .

لكن القادة العراقيين وموظفي الامم المتحدة لا يتخلون عنها ، فهم يعملون باجتهاد لإحياء بابل ، موطن احد عجائب الدنيا السبعة ، ولتحويلها الى مركز ثقافي وحتى ربما متنزه عراقي رئيسي .

ولا أحد يقول أن ذلك سيحدث في أي وقت في القريب العاجل ولكن ما يجعل ايضاً من الممكن تصور المشروع هو كون المنطقة المحيطة ببابل هي احدى أكثر المناطق أمناً في العراق ، فهي من جديد منارة للحضارة في أرض تعمها الفوضى .

وبابل القديمة ، المُحتَفى بها كمعين للقانون والكتابة والحياة الحضرية ، تقع بالضبط خارج نطاق مدينة الحلة الحديثة الواقعة على بعد حوالي ٦٠ ميلاً جنوب بغداد ، ولا يبرز في الحلة المتمردون ولا تربكها المليشيات، ورغم أن فيها مزيجاً من السنة والشيعة الا أن العنف الطائفي لم يشملها.

فالمعامل تهدر وقوات الامن العراقية تتجول في دوريات والشوارع تنبض بالحياة ، حيث يتقافز الاطفال الى المدارس وتتزاحم الحشود باتجاه الاسواق وتمر سيارات الاجرة في الجوار .

ولدى عماد لفتة البياتي ، رئيس بلدية الحلة ، خطط كبيرة لبابل اذ يقول " أرغب في مطاعم ومتاجر للهدايا ومواقف طويلة للسيارات " ويضيف " وبمشيئة الله ربما أيضاً فندق هوليداي ان ".

وتقوم منظمة التربية والعلوم والثقافة التابعة للامم المتحدة (اليونسكو) بضخ ملايين الدولارات باتجاه حماية بابل وبعض الآثار القديمة الأخرى في العراق واحيائها ، وكذلك طبعت اليونسكو كراساً صغيراً تم فيه ادراج بابل بصفتها غاية رئيسية ، وذلك لتوزيعه على المانحين الموسرين .

ويقول فيليب ديلانجي ، موظف في الامم المتحدة مساعد في المشروع ، " قد تصبح السياحة الثقافية ثاني أكبر صناعة في العراق بعد النفط ". ولكن قبل أن يصبح العراق مصر التالية فأنه يقول بسخرية " يجب أن تحدث بضعة أمور قليلة ".

وأحد تلك الامور ، بالطبع ، أمن أفضل ، فلا تزال القوات الامريكية تحتفظ بقواعد قرب بابل بيد أنه في الشهر المقبل ، وفي اشارة الى مدى الاستقرار النسبي الذي أصبحت المنطقة تتمتع به ، ستنسحب أغلب القوات وستتجه الى شمال بغداد حيث ثمة حاجة أكبر لتواجدها هناك .

ويقول الكثير من العراقيين أن الإمر يتعلق بالوقت ، فقد وجه اللوم الى القوات المحتلة بسبب الكثير من انتقال الملكية الاخير في بابل . ويقول دوني جورج ، رئيس هيئة آثار العراق ، ان القوات البولندية حفرت خنادق عبر معبد قديم وان المقاولين الامريكيين رصفوا الارض فوق الآثار لإعداد مهبط للطائرات العمودية ، ويتساءل المستر جورج قائلاً " كيف يفترض بنا ان نتخلص من مهبط الطائرات الآن ؟ بالآلآت الثقابة ؟ هل يمكننا أن نتخيل أخذ آلة ثقابة الى آثار احدى أهم المدن في تاريخ البشرية ؟ أقصد ، الا ترون ، انها بابل ".

بابل ، لإسمها رنين سحري منذ عهد حمورابي ، الملك البابلي الذي حكم من عام ١٧٩٢ ق.م. الى ١٧٥٠ ق.م. وينسب اليه وضع واحد من أول مجاميع القانون المنظم ، وبعد حمورابي ازدهرت المدينة ثانية تحت حكم الملك نبوخذ نصر الثاني الذي حكم بين عامي ٦٠٥ ق.م. و ٥٦٢ ق.م. تقريباً ، وأفضل ما عُرف به نبوخذ نصر هي الجنائن المعلقة التي من المزعوم أنه شيدها لزوجته التي كانت من سكنة الجبال وكانت تفتقد كل المروج الخضر، وكان هيرودتس ، العالم الاغريقي القديم ، متأثراً للغاية بالمدينة بحيث كتب عن بابل يقول " تفوق في سناها أية مدينة في العالم المعروف ".

وكانت المشكلة هي ان اغلب هذا السناء كان مصنوعاً من الطين ، فلم يكن هناك الكثير من الصخور في متناول بابل القديمة ولم تدم معالمها المشيدة بالطابوق المجفف بالشمس كدوام أهرام مصر أو الساحات الرومانية، وبمرور السنين وزحف رمال الصحراء ، تفتت بابل .

ومما زاد الطين بلة ان القوى الاستعمارية نقلت بعضاً من أثمن النتاجات البشرية التي نجت من تأثير الزمن ، فقد أخذ الالمان بوابة عشتار وانتزع الفرنسيون الخزفيات واستخدم الأتراك الطابوق ، والبعض منها كان لا يزال يحمل اسم نبوخذ نصر ، لبناء السدود على نهر الفرات .

ثم جاء صدام حسين واذا كان لدى أي شخص خطط كبيرة لبابل فقد كان هو ، اذ بدأ صدام حسين عام ١٩٨٥ بمشروع كان احياء جزئياً وبناء جزئياً وغروراً كلياً ، فقد استورد الآفاً من العمال السودانيين (اذ كان العراقيون مستغرقين في الحرب العراقية - الايرانية) لبناء قصر قديم الطراز تماماً فوق القصرالاصلي لنبوخذ نصر ، وحلت جدران من طابوق أصفر بارتفاع ٤٠ قدماً ومختومة بأسم صدام حسين محل الركامات الطينية القصيرة من عصر الكتاب المقدس .

وعقب حرب الخليج عام ١٩٩١ أصدر صدام حسين تكليفاً ببناء قصر عصري ومرة أخرى فوق بعض الآثار وتم تنفيذه بالشكل الهرمي لزقورة سومرية ، وأطلق صدام حسين عليه اسم تل صدام ، وفي عام ٢٠٠٣ كان على وشك أن يبدأ بالبناء على خط سيارات متشابك يمتد عبر بابل عندما قطع غزو معين الطريق عليه .

ثم اندفع المارينز الامريكيون في وادي نهر الفرات في طريقهم الى بغداد وحولوا تل صدام الى قاعدة ، ولا تزال ذكرياتهم مكتوبة على الجدران وتتضمن " مرحباً فانيسا . أحبك . من قصر صدام " و " كروز يرتجف في موضع صدام ".ولكن الأدهى من ذلك ، كما يقول علماء الآثار ، كان استعمال معدات ثقيلة مثل الطائرات العمودية والعربات المصفحة والتي قد تكون سحقت الآثار الهشة الموجودة تحت سطح الارض مباشرة .

ويقول المستر جورج ، الذي كان المدير الميداني لصدام في بابل في عام ١٩٨٦ ، انه تذكر مرة كان يحفر تحت التربة السطحية ببوصات قليلة ويخرج " صحناً صغيراً رائعاً " ، ويقول " لذا فقط تخيلوا ما خسرناه ".

> أبنية من طابوق متفتت عمرها حوالي ٢٥٠٠ سنة تبدو كقلاع رملية مهشّمة على الشاطئ ، فيما يبتلع قصب النهر مواقع شهيرة كبرج بابل والجنائن المعلّقة .
> أما علامات الاحتلال العسكري فموجودة في كل مكان وبضمنها الخنادق وأغلفة الاعيرة النارية ولفّات الاسلاك الشائكة اللامعة والجدران التي دمرها النسف والمدموغة بعبارة " هذا الجانب للحماية ".

(التعليق على الصورة : طائرة عمودية بولندية تحلق فوق أجزاء من بابل ، فعلى مر السنين استولت القوى الاستعمارية على النتاجات البشرية وبنى صدام قصوره فوق قصر نبوخذ نصر ، ومن ثم جاء الاحتلال).

وفوق ذلك فالسرّاق لم يساعدوا ، فبعد الغزو انقض سرب من اللصوص كالجراد على العراق وسرق مواقع تأريخية كاملة لا تعد ولا تحصى (يتمتع العراق بأكثر من ١٠٠٠٠ موقع).

ولم تكن بابل قد هوجمت هجمات سيئة كما حصل للمناطق الأخرى ، غير أن الكثير من نتاجاتها البشرية الثمينة اختفت من المتاحف ، فبحلول صيف عام ٢٠٠٣ كانت الواح مسمارية ، من بين أقدم الامثلة على الكتابة ، يتم بيعها على موقع e-Bay على الانترنيت .

وقد انتهى المطاف بنتاجات بشرية قديمة وحتى عظام قديمة كذلك الى أكياس رملية ملأها الجنود الذين كانوا يدافعون عن الموقع ، طبقاً لما ورد في تحقيق أجراه المتحف البريطاني عام ٢٠٠٤ . وتقول اليزابيث ستون ، وهي عالمة آثار في جامعة ولاية نيويورك في ستوني بروك التي تساعد على احياء بابل ، ان الجنود " أخذوا مغارف كبيرة من آثار بارزة ".

وحسبما جاء في تقرير حديث لإذاعة الـ (بي. بي.سي.) قال كولونيل أمريكي من المارينز انه كان يرغب في الاعتذار عن الضرر الذي سببه الجنود الامريكيون ولكنه أضاف ان الآثار كانت ستصبح في حال أسوأ لو لم يتواجد الجنود هناك لحمايتها ، ويمكث الامريكيون الآن خارج الموقع ويتركون العراقيين يقومون بحراسته .

وتقدم الآنسة ستون تقييماً شاملاً بالاضرار وتستخدم صوراً متخيّلة في غاية الوضوح عبر الاقمار الصناعية لمقارنة حالة الآثار قبل الغزو وبعده ، وهدف الخطة تقديم نتائج الى اليونسكو ، التي تأمل باحياء كامل لبابل وتحويلها الى جوهرة متألقة في السياحة العراقية . وتبدو الطريق نحو هذا الهدف طويلة ، واليوم يشرف على الموقع القصران اللذان بناهما صدام حسين ويبدوان كسقط المتاع وبعض الآثار الطينية وبعض الحفر العميقة والكثير من الاسلاك الشائكة .ولكن حتى المستر جورج لايشعر بهبوط الهمّة ، اذ انه يجتمع بشكل منتظم بعلماء الآثار من كل العالم ويضعون الخطط لإنشاء مركز دراسات مسمارية وقرية سياحية يشيدان خارج حدود المدينة القديمة ، دون شك ، ويقول " في يوم ما ستزور الملايين بابل ، الا انني فقط لست متأكداً من أن هناك من يعرف متى يكون هذا اليوم ".

عن النيويورك تايمز